

## الملاحظات

### الظروف المحيطة بنزول "كتاب الإيقان"

"كتاب الإيقان" هو الأهم بين آثار حضرة بهاء الله بعد "الكتاب الأقدس". أنزل في بغداد قبل إعلان الدعوة بسنتين تقريبا بإعزاز الحاج ميرزا سيد محمد، خال حضرة الباب. كان لحضرته من الأخوال ثلاثة، وكان أسبقهم للإيمان بالدين البابي الحاج ميرزا سيد علي، المعروف بالخال الأعظم، والذي كفل حضرة الباب بعد وفاة والده وقام على رعايته منذ نشأته.

استطاع الحاج ميرزا سيد علي أن يدرك المواهب الروحانية والقوى الخارقة التي ظهرت من ابن أخته في سن مبكرة، ولم يتوان في الاعتراف بمقامه. آمن بالدين البابي بمجرد إعلان الدعوة وأظهر غيرة وحماسا شديدين، وكان بحق أول من أقر بأحقية المصدر السماوي لرسالة حضرة الباب في شيراز بعد حروف الحي. ومنذ ذلك الحين نذر نفسه وحياته لترويج الدين الجديد، وحماية مؤسسه الشاب. قبض عليه قبل استشهاد حضرة الباب ببضعة شهور، ثم أعدم علانية بسبب إصراره على التمسك بدينه، وكان من بين شهداء طهران السبعة.

أما أكبر أحوال حضرة الباب سنا -الحاج ميرزا سيد محمد- فبالرغم من إقراره بالمواهب الفائقة لابن أخته، إلا أنه لم يؤمن بالدين الجديد إلى أن قابل حضرة بهاء الله في بغداد، وتسلم "كتاب الإيقان" إجابة على استفساراته. أما الخال الثالث فهو الحاج ميرزا حسن علي.

انتقل الحاج ميرزا سيد محمد بتجارته إلى بوشهر، وعمل فيها بضع سنين بمشاركة أخيه الحاج ميرزا سيد علي وابن أخته -حضرة الباب- وبقي في العمل وحده بعد مغادرة الاثنين الأخيرين إلى شيراز وإعلان دعوة حضرة الباب إلى أوائل حواريه. وعندما عزم حضرة الباب على الحج إلى مكة، مر ببوشهر وأقام في منزل خاله الحاج ميرزا سيد محمد، وفي طريق عودته من الحج بعد عدة شهور نزل في منزل خاله أيضا. وخلال تلك الزيارات شهد الحاج ميرزا سيد محمد بالتحول الذي طرأ على روح حضرة الباب وكتب إلى والدته وشقيقته -جدة حضرة الباب ووالدته- ما يلي:

... هلّ علينا الحاج بالسلامة والعافية، وسعدت بالقيام على خدمته. ويستحسن بقاءه في بوشهر لبعض الوقت. اطمئنوا تماما رجاءً فإنه سيغادر إليكم قريبا... حقا، إن روحه السمحة لهي مصدر سعادة أهل هذا العالم والعالم الآخر. إنه يشرفنا جميعا...

ومع كل هذه المشاعر وعبارات الإعجاب والاحترام الصادقين لشخص حضرة الباب، فقد أخفق الحاج ميرزا سيد محمد في إدراك مقامه عدة سنوات، وبقي دون أن يعلن إيمانه بدعوته.

وفي تلك الأثناء استشهد حضرة الباب وخاله الأعظم عام ١٨٥٠م مما أصاب أفراد العائلة بصدمة عنيفة جلبت لهم الحزن العميق. أما والدة حضرة الباب -فاطمة بيكم- فما طاقت العيش في منزلها بشيراز بعد ذلك، وارتحلت إلى كربلاء في العراق لتكون قرب مقام الإمام الحسين. وإلى حين وصول حضرة بهاءالله إلى بغداد بعد إطلاق سراحه من سجن سياه جال، لم تكن الوالدة لتؤمن برسالة حضرة الباب، وتمكن حضرة بهاءالله من الاتصال بها حيث رتب للحاج السيد جواد الكربلائي -أحد حواربي حضرة الباب الأوائل البارزين- أن يصطحب معه إحدى المؤمنات المخلصات -وهي زوجة الشيخ عبد المجيد الشيرازي- لمقابلة والدة حضرة الباب وتبيان حقيقة رسالة ابنها اللامع. حقق هذا الاتصال استجابة رائعة فانتعشت روحها بحياة جديدة، وانكشف أمام بصيرتها جلال الدين الجديد الذي أسسه حضرة الباب، ثم فازت بعرفان مقام حضرة بهاءالله وآمنت به وبقيت راسخة الإيمان حتى نهاية حياتها.

ومع أن بعض أقارب حضرة الباب اعتنقوا أمره في السنوات الأولى لولايته، ومنهم زوجته، وقدم آلاف المؤمنين من أتباعه أرواحهم في سبيله، إلا أن الحاج ميرزا سيد محمد لم يقتنع تماما بأن حضرة الباب -ابن أخته- يمكن أن يكون هو الموعود المنتظر لدى المسلمين، بالرغم من محاولات عدة مؤمنين لتبديد شكوكه. وقد سجل الحاج ميرزا حبيب الله، أحد الأفنان وخادم منزل حضرة الباب في شيراز، القصة التالية التي رواها والده آقا ميرزا نور الدين أحد أتباع حضرة الباب، عن سلسلة المناقشات التي أجراها مع الحاج ميرزا سيد محمد والتي شكلت، على ما يبدو، نقطة تحول في حياة الخال الروحانية:

... في بداية مراحل حديثنا، كان موقف الحاج ميرزا سيد محمد موقفا سلبيا، وطفق ينكر كل دليل وبرهان أقدمه له. بقينا على هذا المنوال لعدة لقاءات. وبينما أخذت أتكلم في مرة من المرات بحماس ويقين قاطع عن الدين الجديد، التفت إلي بدهشة وصاح قائلاً: "هل تقول أن ابن أختي هو قائم آل محمد حقا؟!". فأكدت عليه من جديد أن حضرة الباب هو القائم الموعود. وهنا بدا عليه الارتباك وعلق على ذلك بقوله: "هذا أمر غريب جدا." ثم غرق في التأمل والتفكير. وهو على حاله هذه لم أستطع منع نفسي من الضحك. التفت إلي وسألني عن سبب ضحكي، ولكنني التزمت الصمت حتى لا يكون لجوابي رد فعل سيئ إلا أنه أصر. فأجبت: إن اعتقادك بأن ابن أختك لا يمكن أن يكون قائم آل محمد يشبه

اعتقاد أبي لهب بمحمد (ص) إذ قال: "كيف لابن أخي أن يصبح نبيا" ومع هذا كان محمد ع نبي الله. وإليك يرجع الأمر في التحقق من هذا الدين، وكن فخورا جدا بطلوع فجر شمس الحقيقة من ذويكم وتألق نوره من بيتكم، فلا تمنع نفسك عنه، ولا تقف مشدوها حائرا تجاهه، لأن الله عز وجل قادر أن يجعل من ابن أختك قائم آل محمد، وأيقن بأن يد الله ما كانت قط مغلولة.

تحركت مشاعر الحاج بهذه الكلمات وأردف قائلا: "إنه جواب لا يدحض، ماذا علي أن أفعل الآن؟" فأشرت عليه أن يتوجه للحج إلى المقامات المقدسة<sup>(٢)</sup> بالعراق لزيارة أخته (والدة حضرة الباب) التي كانت تقيم هناك منذ استشهاد ولدها، ثم يذهب إلى بغداد ويقابل حضرة بهاءالله ويسأله الإجابة عن أسئلته. وأكدت عليه ضرورة المثابرة بكل عزم وقوة في البحث متوكلا على الله عسى بمنه يرفع الله عنه الحجبات التي حالت بينه وبين الحقيقة، ويحظى بمعرفة دين الله الحق... فوافقني الرأي وقال إنه يشعر في قرارة نفسه بأنه طريق الصواب وعليه أن يسلكه.

حرر الحاج ميرزا سيد محمد علي التورسالة إلى أخيه الأصغر الحاج ميرزا حسن علي -وهو تاجر في يزد- يعلمه فيها بعزمه على زيارة المقامات المقدسة ثم شقيقته ويدعوه لمرافقته. فقبل الدعوة وطلب منه الانتظار لملاقاته في شيراز... توجه

كلاهما إلى العراق مرورا ببوشهر. ولم يصرح الحاج ميرزا سيد محمد لأخيه عن غرضه الحقيقي من تلك الرحلة إلى أن وصلا بغداد، وهناك أعلمه أن غرضه هو التحري عن حقيقة الدين الجديد، وبعد ذلك يزور المقامات ثم شقيقته -والدة حضرة الباب- وطلب من أخيه المكوث في بغداد لفترة قصيرة حتى يتمكن من التشرف بمحضر حضرة بهاءالله وبعدها يتوجهان معا لزيارة المقامات المقدسة.

وبمجرد سماعه ذلك، غضب الحاج ميرزا حسن علي وكلم أخاه بلهجة قاسية، مع أنه يصغره سنا، وحذره أنه لا يمكن تحت أي ظرف أن يشاركه بهذه الأمور، وأنه لا يريد أن يسمع شيئا عن الدين، وغادر بغداد في اليوم نفسه.

وعلى أثر ذلك قرر الحاج ميرزا سيد محمد اصطحاب أخيه لزيارة المقامات المقدسة، ولدى عودته إلى بغداد تشرف لوحده بالمحضر الأنور في بيت حضرة بهاءالله. وكان ذلك عام ١٢٧٨هـ، الموافق ١٨٦٢م.

وفي وصفه للظروف التي أدت إلى نزول "كتاب الإيقان"، كتب ميرزا آقا جان، كاتب وحي حضرة بهاءالله، في لوح وجهه للشيخ عبد المجيد الشيرازي (بأمر من حضرة بهاءالله)، أن الحاج السيد جواد الكربلائي ذهب في أحد الأيام إلى حضرة بهاءالله ليبلغه بأن اثنين من أحوال حضرة الباب كانا في زيارة للمقامات المقدسة في

النجف وكربلاء، وهما متوجهين إلى بغداد في طريق عودتهما إلى موطنهما قريبا. ولما تحقق حضرة بهاءالله من الحاج أنه لم يحدثهما بالأمر الجديد عاتبه بكل لطف على عدم قيامه على تبليغ أمر الله ثم أمره أن يدعو الضيفين الأخوين إلى محضره.

وفي اليوم التالي حضر الحاج السيد جواد مصطحبا خال حضرة الباب الحاج ميرزا سيد محمد دون أخيه الأصغر. انغمست روح الخال الأكبر ببحر بيان الجمال المبارك ورفرت إلى أوج العلا. وفي نهاية اللقاء توسل إلى حضرة بهاءالله أن يوضح له حقيقة رسالة حضرة الباب بالنسبة للأحاديث النبوية الشريفة الخاصة بالقائم الموعود والتي لم تتحقق في الظاهر بآبن أخته. فوافق حضرة بهاءالله على إجابة طلبه، وسأل زائرته بأن يذهب إلى بيته ويكتب، بعد تمحص وتدقيق، قائمة بكل تلك المسائل التي حيرته والأحاديث الشريفة التي أدخلت الشكوك إلى نفسه، وأن يحضر بعد ذلك تلك القائمة إليه ليرد عليها.

وفي اليوم التالي حضر الحاج ميرزا سيد محمد ومعه أسئلته. وفي يومين وليلتين نزل "كتاب الإيقان" وهو رسالة مطولة في أكثر من مائتي صفحة عالجت كافة أسئلته. وكان الكتاب يعرف في الأيام الأولى بـ"رسالة الخال" إلا أن حضرة بهاءالله أسماه "كتاب الإيقان".

وبين الأوراق المحفوظة لدى عائلة الأفنان وجدت ورقة من صفحتين بخط يد الحاج ميرزا سيد محمد بالأسئلة التي وجهها لحضرة بهاء الله تحت أربعة عناوين تتعلق كلها بمجيء القائم الموعود وتبين مدى جدية السائل في البحث عن الحقيقة، مكررا توسله إلى حضرة بهاء الله أن يبدد شكوكه ويفوز قلبه بالإيمان المطلق والإيقان برسالة حضرة الباب.

تحركت أحاسيس الحاج ميرزا سيد محمد في هذا اللقاء وكتب فوراً إلى ابنه الحاج ميرزا محمد تقي واصفاً تأثيره الكبير بقوله:

... نلت شرف المثول بمحضر جناب البهاء -عليه السلام- وكم تمنيتك معي!  
لقد أغدق علي من عظيم عطفه اللامثال، ودعاني أن أقضي الليلة في ضيافته.  
حقاً أقول لك إن الحرمان من بركات محضره يعد خسارة فادحة بلا أدنى شك،  
عسى الله أن يمتعني بهذه النعمة على الدوام...

وهكذا بدد "كتاب الإيقان" كل شك ساور الحاج ميرزا سيد محمد وفاز باليقين بعد تلاوته فأدرك مقام حضرة الباب. وفي وصيته التي كتبها في وقت لاحق اعترف بأحقية رسالتي حضرة الباب وحضرة بهاء الله وأنه من أتباع هذين المظهرين الإلهيين التوأمين.



أما الخال الأصغر الحاج ميرزا سيد حسن علي، الذي عاد إلى يزد دون مقابلة  
حضرة بهاء الله، فقد حظي بالإيمان بعد سنوات عدة بفضل الجهود المخلصة لشقيق  
زوجته وبقي ثابتا راسخا طيلة حياته.

وفي واقع الأمر فإن عائلة حضرة الباب بكامل أفرادها اعتنقت الأمر الإلهي،  
ودخل حظيرة الدين الجديد كل من والدة حضرة الباب وزوجته وأخواله وأولادهم  
(الملقبين بالأفنان)، طبقا لما تنبأ به حضرة الباب نفسه حيث تفضل بأن الله بفضله  
سيمن على عائلته بعرفان أحقية دينه.

تسلم الحاج ميرزا سيد محمد النسخة الأصلية "لكتاب الإيقان" بخط يد  
حضرة عبدالبهاء الذي كان يبلغ الثامنة عشر آنذاك. وعلى هوامش الكتاب زين حضرة  
بهاء الله بعض صفحاته بملاحظات خطها بيده المباركة. وفي نهاية الكتاب وشحه  
بهذه العبارة:

"وهذا العبد قائم أمام الوجوه وواضع روحه على كفه بكمال التسليم والرضاء،  
عسى بالعناية الإلهية والفضل السبحاني ينفق هذا الحرف المذكور المشهور روحه،  
ويفدي بها في سبيل النقطة الأولى، والكلمة العليا. ولو لم يكن عندي هذه النية،

فوالذي نطق الروح بأمره، إني ما كنت أتوقف في هذا البلد لحظة واحدة، وكفى  
بالله شهيدا."

وبقيت النسخة الأصلية هذه في حيازة عائلة الحاج ميرزا سيد محمد لعدة  
سنوات إلى أن قدمتها حفيدة حفيدته -فاطمة خانم أفنان- لحضرة ولي أمر الله شوقي  
أفندي عام ١٩٤٨م ووصلته بعد عدة سنوات لتوضع في محفظة الآثار البهائية العالمية  
على جبل الكرمل بحيفا.

### أهمية "كتاب الإيقان"

من بين كتابات حضرة بهاءالله، يمكن القول بأن "كتاب الإيقان" كان أوسعها  
انتشارا بين المؤمنين الذين اعتادوا أن ينسخوها باليد لتداولها بينهم، وعندما كانت  
تصلهم الألواح الجديدة يقومون على استنساخها لأنفسهم بكل شغف ولهفة وغالبا ما  
كانوا يجمعون عدة منها على شكل كتاب. وهناك العديد من مثل هذه المجلدات  
المخطوطة لمجموعة ألواح لحضرة الباب وحضرة بهاءالله وحضرة عبدالبهاء لدى  
عائلات البهائيين التي توارثوها عن أسلافهم ويعتبرونها آثارا نفيسة.

كما كان في بلاد فارس أفراد أمضوا كل وقتهم في كتابة الآثار المباركة، واعتاد المؤمنون أن يتسلموا نسخهم منهم. وكان "كتاب الإيقان" واحدا من الآثار التي شغلت هؤلاء الكتبة سنوات عدة لتلبية حاجة المؤمنين.

ومن الناحية الأدبية يمكن اعتبار "الإيقان" كتابا مميزا في الأدب الفارسي ووصفه حضرة ولي أمر الله شوقي أفندي، الذي ترجمه إلى الإنجليزية بأسلوب أخاذ، بكلماته التالية:

"ومن أبرز الكنوز النفيسة التي ألقى بها خضم إلهام حضرة بهاء الله المواجه كتاب "الإيقان"... نموذج للنثر الفارسي بأسلوبه الناصع الأصيل المتدفق، ووضوحه الملحوظ، وتسانده في البحث، وبراعته الملزمة في البلاغة. ولذلك فهو يحتل منزلة لا تدانيها منزلة أي كتاب آخر من مجموع الآداب البهائية على الإطلاق باستثناء "الكتاب الأقدس" الذي هو أقدس كتب حضرة بهاء الله..."

إن مغزى الرسائل التي جاء بها كل الرسل والأنبياء والهدف من ظهورهم والمعنى الحقيقي لكلماتهم بقي مستورا حتى الآن ولكن بنزول "كتاب الإيقان" اتضح كل شيء بعد أن كانت الكلمات مخفية فكما قال دانيال النبي "لأن الكلمات

**مخفية ومختومة إلى وقت النهاية"**، وأما الختم الذي قضت به العناية الإلهية آلاف السنين على الكتب المقدسة لجميع الديانات السماوية فقد فك الآن.

يعتبر "كتاب الإيقان" أفضل أنموذج لكيفية تبليغ أمر الله. فبدلاً من أن يستهله حضرة بهاء الله بالبراهين على أحقية رسالة حضرة الباب، بدأ في الحديث عن الرسل الآخرين مصوراً حياتهم وآلامهم ومقيماً الدليل على أحقية رسالاتهم شارحاً خصائصها المشتركة. وبهذا الأسلوب يقرب إلى ذهن القارئ حقيقة دينه الذي يعتنقه ويمكنه من عرفان حقيقة رسوله. وبعد بناء هذا الأساس المتين يشرع في نهاية الكتاب بالتكلم عن حضرة الباب وعن رسالته هو، ويعود فيخضع شرحه للظهور الجديد للمنطق ذاته الذي أثبت به أحقية الرسل السابقين.

وبما أن مظاهر أمر الله جميعهم يستمدون سلطانهم ونفوذهم من مصدر واحد، فإنه في الإمكان عرفان أحدث الرسل ظهوراً، إذا ما تمّ لنا عرفان ما يتحلى به الرسل والأنبياء السابقون من خصال وصفات.

إن السواد الأعظم من أتباع الديانات في العالم وقد لقنوا -على أية حال- أن يؤمنوا برسول واحد فقط، وهو رسول من عند الله. ومع اعتقادهم الخالص بأحقية دينهم، دينا سماوياً من حيث مصدره وأصله، فإنهم لم يدركوا حقيقة رسولهم في

أغلب الأحيان. فالفرق شاسع بين معرفة الدين وبين إدراك حقيقة مؤسسه. فعلى سبيل المثال: قد يملك الإنسان قطعة من الذهب ويعرف أنها ثمينة ومع ذلك فإنه غير قادر على تمييز الذهب من النحاس. فشخص كهذا سيفشل في إدراك حقيقة قطعة أخرى من الذهب عندما يراها.

تلك هي حال العالم اليوم. فإذا استطاع أحد من الناس إدراك حقيقة الرسول الذي يؤمن به فإنه لن يجد أية صعوبة في قبول حضرة بهاء الله رسولا لهذا العصر.

وهكذا فقد مكن "كتاب الإيقان" العديد من الناس من مختلف العقائد والثقافات أن يقفوا على حقيقة معتقداتهم الدينية، وهي الخطوة الأولى نحو الإيمان بحضرة بهاء الله. وقد أضفى "كتاب الإيقان" سناء بهيا على كتب الديانات السابقة وكشف غوامضها وبين معنى استمرار الوحي الإلهي. وأقام دعائم ثابتة لوحدة هذه الأديان واتحادها، واستعمله المؤمنون مفتاحا لأبواب المعرفة التي كانت مجهولة حتى ذلك الحين، وأصبح الكتاب، للباحثين والمبلغين، مصدرا رئيسا للإلهام، فعكفوا على كتابة المجلدات في إثبات أحقية رسالة حضرة بهاء الله ببراهين العقل والمنطق أو بتفسير ما جاء في الكتب السماوية السابقة. وفي الحقيقة فقد منح هذا الكتاب المؤمنين رؤية جديدة مكتنهم من حل الرموز الإلهية وتبليغ أمر الله بمعرفة وبصيرة أعمق.

## المواضيع الرئيسية في "كتاب الإيقان" (القسم الأول)

في دراستنا "لكتاب الإيقان" علينا أن نأخذ بعين الاعتبار أن حضرة بهاء الله كتبه لشخص ذي خلفية إسلامية، لذا جاءت معظم مقتطفاته من القرآن الكريم أو الأحاديث الشريفة.

وفي فقراته الافتتاحية جعل حضرة بهاء الله عرفان الحقيقة مشروطاً بانقطاع الباحث وتجرده عن هذا العالم، وهو ما حرص على تأكيده خلال الكتاب. وهذه كلماته:

"... أن العباد لن يصلوا إلى شاطئ بحر العرفان إلا بالانقطاع الصرف عن كل من في السموات والأرض..."

جوهر هذا الباب هو أنه يجب على السالكين سبيل الإيمان والطلبين كؤوس الإيقان أن يطهروا أنفسهم ويقدموها عن جميع الشؤون العرضية- يعني ينزهون السمع عن استماع الأقوال، والقلب عن الظنون المتعلقة بسبحات الجلال، والروح عن التعلق بالأسباب الدنيوية، والعين عن ملاحظة الكلمات الفانية،

ويسلكون في هذا السبيل متوكلين على الله، ومتوسلين إليه حتى يصبحن قابلين لتجليات إشراقات شمس العلم والعرفان الإلهي، ومحلا لظهورات فيوضات غيب لا يتناهى..."

### أسباب اعتراض الإنسان على رسل الله

أسهب حضرة بهاء الله في القسم الأول من "كتاب الإيقان" في سرد تاريخ الرسل السابقين والأسباب الرئيسة لاعتراض البشر عليهم. وبفهم هذه الأسباب يستطيع الإنسان أن يهتدي إلى حقيقة أمر الله في هذا اليوم. ولإبراز أهمية هذا الموضوع فقد أفرد له جزءا كبيرا من الكتاب.

وبعد ذكر بعض المصائب والمحن التي ابتلي بها بعض الرسل السابقين يتفضل حضرة بهاء الله بما يلي:

"فانظروا الآن وتأملوا قليلا في هذه الأمور. وماذا كان سبب أمثال هذه الاختلافات، إذ كلما ظهر ظهور حق في الإمكان من أفق اللامكان كان يظهر ويبدو في أطراف العالم أمثال هذا النوع من الفساد والفتنة والظلم والانقلاب، مع أن جميع الأنبياء كانوا يبشرون الناس في حين ظهورهم بالنبي التالي، ويذكرون لهم

علامات الظهور الآتي، كما هو مسطور في كل الكتب. ومع طلب الناس وانتظارهم لظهور المظاهر القدسية، وذكر العلامات في الكتب، لماذا تحدث هذه الأمور في العالم، ويرد على جميع الأنبياء والأصفياء في كل عهد وعصر أمثال هذا الظلم والعسف والتعدي.

وهنا يعرض حضرة بهاء الله أسبابا عدة لاعتراض البشر على رسل الله، وأولها أن جمهور الناس في كل عصر كانوا يتبعون رجال الدين ويطيعونهم طاعة عمياء، فهؤلاء هم الذين ناهضوا إلى حد بعيد الرسول الجديد. أما بالنسبة إلى رجال الدين فقد كتب حضرة بهاء الله الكلمات التالية:

"إن علماء العصر في كل الأزمان كانوا سببا لصد العباد، ومنعهم عن شاطئ بحر الأحذية، لأن زمام هؤلاء العباد كان في قبضة قدرتهم. فكان بعضهم يمنع الناس حبا للرياسة، والبعض الآخر يمنعهم لعدم العلم والمعرفة. كما أنه بإذن علماء العصر وفتاويهم قد شرب جميع الأنبياء سلسبيل الشهادة، وطاروا إلى أعلى أفق العزة. فكم ورد على سلاطين الوجود، وجواهر المقصود، من ظلم رؤساء العهد، وعلماء العصر، الذين قنعوا بهذه الأيام المحدودة الفانية، ومنعوا أنفسهم عن الملك الذي لا يفنى."



وفي فقرة لاحقة في الكتاب يدين حضرة بهاء الله علماء الدين على جهلهم وضعف بصيرتهم بقوله:

"ومن جملة السبحات المجللة هم علماء العصر وفقهاء زمان الظهور الذين هم جميعا نظرا لعدم إدراكهم، واشتغالهم بالدنيا، وحبهم للرياسة الظاهرية، لم يدعوا لأمر الله. بل إنهم كانوا لا يمدون آذانهم لاستماع النعمة الإلهية، بل (يجعلون أصابعهم في آذانهم)<sup>(1)</sup>. ولما كان العباد قد اتخذوهم أيضا أولياء من دون الله لذا هم منتظرون لرفض تلك الخشب المسندة وقبولهم. لأنه ليس لهم بصر ولا سمع ولا قلب ليميزوا به ويفرقوا من تلقاء أنفسهم بين الحق والباطل."

وسبب آخر في رفض الناس قبول الرسول الجديد يرجع إلى إتيانه تعاليم جديدة تبطل شرائع الماضي وتؤسس نظاما جديدا. فهذا التغيير الجذري يثير حفيظة رجال الدين لأنهم يرون في الرسالة الجديدة تحديا لسلطتهم فيقومون على الاعتراض بكل ما لديهم من نفوذ وقدرة.

وثمة سبب إضافي آخر للاعتراض هو أن كل رسالة إلهية قد أوردت علامات وإشارات تدل على مجيء الظهور التالي، وبما أن الناس كانوا ينتظرون أن تتحقق هذه العلامات والإشارات حرفيا عجزوا عن إدراك الرسالة الإلهية الجديدة.

## علامات رجوع السيد المسيح

ولبيان هذه النقطة فقد أفرد لها حضرة بهاءالله ما لا يقل عن سبعين صفحة من الكتاب في شرح فقرة من الإنجيل في ذكر علامات رجعة السيد المسيح،<sup>(١)</sup> آتيا على عدة مواضيع أخرى.

وأورد ما يلي عن علامات المجيء الثاني:

"ومن بعد ذلك طلب أصحاب عيسى وتلاميذه من حضرته بيان علامات الرجعة والظهور، ومتى يكون وقتها واستفهموا من طلعت النادرة المثل عن هذا السؤال في عدة مواقع. وفي كل موقع منها ذكر حضرته علامة، كما هو مسطور في الأناجيل الأربعة.

وهذا المظلوم يذكر فقرة منها، ويمنح عباد الله النعم المكنونة في السدرة المخزونة، حبا لوجه الله حتى لا تحرم الهياكل الفانية من الأثمار الباقية، عساهم يفوزون برشح من أنهار حضرة ذي الجلال، المقدسة عن الزوال، والتي جرت في دار السلام (بغداد)...

وهذه نعمات عيسى بن مريم التي تغنى بها في رضوان الإنجيل بلحن جليل، في وصف علائم الظهور الآتي بعده، المذكور في السفر الأول المنسوب إلى متى، عندما سأله عن علامات الظهور الآتي بعده فأجاب بقوله "وللوقت من بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والكواكب تتساقط من السماء، وقوات الأرض ترتج، حينئذ يظهر علامات ابن الإنسان في السماء، وينوح كل قبائل الأرض ويرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء مع قوات ومجد كبير، ويرسل ملائكته مع صوت السافور العظيم..."

إن علماء الإنجيل لما لم يعرفوا معاني هذه البيانات، ولا المقصود منها، المودع في تلك الكلمات وتمسكوا بظاهرها، لهذا صاروا ممنوعين من شريعة الفيض المحمدي، وسحابة الفضل الأحمدي، وجهال تلك الطائفة، الذين تمسكوا بعلمائهم أيضا، ظلوا محرومين من زيارة جمال سلطان الجلال، لأن في ظهور الشمس الأحمدية، لم تظهر هذه العلامات المذكورة.

### تفسير العبارات الرمزية

وبشيء من التفصيل يشرح حضرة بهاء الله معاني هذه الكلمات بقوله:

"... أن المقصود من الضيق هو ضيق عن استيعاب المعارف الإلهية، وعجز عن إدراك الكلمات الربانية حيث أن العباد بعد غروب الشمس، واختفاء مراهاها عن الأبصار، يقعون في ضيق وشدة، ولا يعرفون إلى من يتوجهون... كما نشاهد اليوم، أن زمام كل طائفة في يد جاهل، يحركهم كيفما أراد، ولم يبق بينهم من المعبود إلا اسمه، ولا من المقصود إلا لفظه... ومع أنهم يعتقدون أن حكم الله واحد، فإنه يصدر منهم من كل ناحية حكم، ويظهر من كل محل أمر. فلا يشاهد بينهم نفسان متفقان على حكم واحد. إذ لا يعرفون إلها غير الهوى. ولا يسلكون سبيلا إلا الخطأ... يحافظون على هذه المراتب بتمام القوة والقدرة، حتى لا يجد النقص سبيلا إلى شوكتهم، ولا يتطرق الخلل إلى عزتهم، وإذا ما تنورت عين بكحل المعارف الإلهية، فإنها تشاهد عدة وحوش مرتمية على جيف أنفس العباد. فالآن أي ضيق وشدة أشد من هذه المراتب المذكورة، فإنه إذا أراد شخص أن يطلب حقا، أو يلتمس معرفة، فلا يدري إلى من يذهب، وممن يطلب، لأن الآراء مختلفة للغاية، والسبل متعددة. وهذا الضيق وتلك الشدة من شرائط كل ظهور. وما لم يقع هذا ويحصل، فلا تظهر شمس الحقيقة، لأن صبح ظهور الهداية يطلع بعد ليل الضلالة..."

وعن المقصود من كلمتي "شمس" و"قمر" يصرح حضرة بهاء الله:

"فالمقصود من الشمس والقمر المذكورين في كلمات الأنبياء، ليس منحصرًا في هذين الكوكبين المشهورين، بل إنهم قد أرادوا من الشمس والقمر معاني عديدة. وفي كل مقام منها يريدون معنى خاصًا بمناسبة ذلك المقام. فمثلاً: أحد معاني الشمس يطلق على شمس الحقيقة، الذين يطلعون من مشرق القدم، ويكونون واسطة إبلاغ الفيض إلى جميع الممكنات. وهؤلاء الشمس هم المظاهر الإلهية الكلية، في عوالم صفاته وأسمائه. فكما أن الشمس الظاهرة بتقدير من المعبود الحقيقي تربي الأشياء الظاهرة، من الأثمار والأشجار والألوان والمعادن وما دون ذلك، مما هو مشهود في عالم الملك، بتأثير حرارتها، كذلك تظهر أشجار التوحيد وأثمار التفريد، وأوراق التجريد وأوراد العلم والإيقان، ورياحين الحكمة والبيان، من أثر تربية الشمس المعنوية وعنايتها... وتنبعث حرارة المحبة الإلهية في أركان العالم من هذه الشمس الإلهية ونيانها المعنوية...

وفي الرتبة الثانية يكون المقصود من الشمس والقمر والنجوم هم علماء الظهور السابق، الذين يكونون موجودين في زمان الظهور اللاحق، ويدهم زمام دين الناس. فإذا ما استناروا بضياء شمس أخرى أثناء ظهورها، يكونون من المقبولين والمضيئين والمتألئين، وإلا يجري في حقهم حكم الظلمة، ولو يكونون بحسب الظاهر من الهادين. لأن جميع هذه المراتب من الكفر والإيمان، والهداية

والضلالة، والسعادة والشقاوة، والنور والظلمة، منوطة بتصديق تلك الشمس المعنوية الإلهية. فكل نفس من العلماء جرى عليها في يوم التغابن والإحسان حكم الإيمان من مبدأ العرفان يصدق في حقها العلم والرضا، والنور والإيمان. وإلا يجري في حقها حكم الجهل والنفي والكفر والظلم.

ومن المشهود لدى كل ذي بصر، أنه كما ينمحي نور النجم عند إشراق الشمس الظاهرة، كذلك تنمحي وتظلم شمس العلم والحكمة والعرفان الظاهري عند طلوع شمس الحقيقة وإشراق نير المعاني...

وفي مقام آخر يكون المقصود من إطلاقات الشمس والقمر والنجوم، هو العلوم والأحكام المرتفعة في كل شريعة، مثل أحكام الصوم والصلاة...

إذا قد ثبت وتحقق بالآيات النازلة والأخبار الواردة، إطلاق لفظ الشمس والقمر في هذه المراتب، على هذه المقامات المذكورة في الآيات النازلة والأخبار الواردة. وهذا هو المقصود من ذكر ظلمة الشمس والقمر، وسقوط النجوم، أي ضلالة العلماء، ونسخ الأحكام المرتفعة في الشريعة، التي كان مظهر ذلك الظهور يخبر عنها بهذه التلويحات...

ومن المسلم أنه في كل ظهور تال تظلم شمس العلوم والأحكام والأوامر والنواهي، التي كانت مرتفعة في الظهور السابق، والتي أظلت أهل ذلك العصر، واستناروا من شمس معارفها، واهتدوا بقمر أوامرها. أي أنه ينتهي حكمها وينعدم أثرها.

وحول "ظهور علامة ابن الإنسان في السماء" يؤكد حضرة بهاء الله أنها علامة تظهر في السماء الظاهرة والسماء الباطنة. فقبل مجيء كل رسول يظهر نجم في السماء مدلا على مولد رسالة جديدة. وليس هذا فحسب بل يظهر في الوجود مبشر يعلن للملأ هذه البشارة. ولناخذ مثلا أيام حضرة موسى عندما حذر المنجمون فرعون:

"... بأن كوكبا قد طلع في السماء، وهو دليل على انعقاد نطفة على يدها يكون هلاكك أنت وقومك. وكذلك قد ظهر عالم كان يبشر بني إسرائيل في الليالي يسليهم ويطمئنهم."

وقبل ظهور السيد المسيح ذهب نفر من المجوس إلى هيروودس وقالوا: "أين هو المولود ملك اليهود؟ لأننا رأينا نجمة في المشرق وأتينا لنسجد له" فكانت تلك علامة ظهوره في السماء الظاهرة. أما يوحنا المعمدان فقد كان الكوكب الروحاني الذي بشر الناس بقرب ظهور عيسى عليه السلام. وكذا الأمر قبل مجيء الطلعة المحمدية

فظهرت أيضا مثل هذه العلامات . ومما تفضل به حضرة بهاء الله بخصوص من بشروا بالرسول الكريم:

"وأما الآثار الباطنة فقد كانوا أربعة رجال واحدا بعد الآخر يبشرون الناس على الأرض بظهور شمس الهوية . وقد تشرف بشرف خدمتهم "روزبه" الذي سمي بسلمان، وكان كلما حضرت الوفاة أحدا منهم يرسل (روزبه) إلى الشخص الآخر إلى أن أتت نوبة الرابع الذي قال له في حين وفاته يا روزبه اذهب من بعد تكفيني ودفني إلى الحجاز حيث تشرق هناك الشمس المحمدية ويا بشراك بلقاء حضرته ."

وفي هذا الظهور، وقبل أن يعلن حضرة الباب دعوته، ظهرت هذه العلامة في الظاهر والباطن وصرح حضرة بهاء الله بقوله:

"...أخبر أكثر المنجمين عن ظهور نجم في السماء الظاهرة . كما أنه قد كان على الأرض النوران النيران أحمد وكاظم قدس الله تربتهما..."

أما عن قوله: "ينوح كل قبائل الأرض، ويرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوات ومجد كبير"، فيتفضل حضرة بهاء الله:



"... أنه في ذلك الوقت ينوح العباد من فقدان شمس الجمال الإلهي، وقمر العلم، وأنجم الحكمة اللدنية، ويشاهد في تلك الأثناء طلعة الموعود، وجمال المعبود نازلا من السماء، وراكبا على السحاب. يعني أن ذاك الجمال الإلهي يظهر من سماوات المشيئة الربانية في هيكل بشري ولم يقصد من السماء هنا إلا جهة العلو والسمو التي هي محل ظهور تلك المشارق القدسية والمطالع القديمة. ولو أن هذه الكينونات القديمة قد ظهرت من بطون الأمهات بحسب الظاهر إلا أنهم في الحقيقة نازلون من سماوات الأمر، وإن يكونوا ساكنين على الأرض إلا أنهم متكئون على رفف المعاني. وحيثما يمشون بين العباد فإنهم يكونون طائرين في هواء القرب. يمشون على أرض الروح بغير حركة الرجل، ويطيرون إلى معارج الأحذية بغير جناح. وفي كل نفس يطوون عالم الإبداع من مشرقه إلى مغربه، وفي كل آن يمرون على ملكوت الغيب والشهادة."

وعن معنى الغمام يتفضل:

"... فالمراد من الغمام هنا... تغيير الأحكام وتبديل الشرائع وارتفاع القواعد والرسوم العادية وتقدم المؤمنين من العوام على المعرضين من العلماء. وكذلك يقصد به ظهور ذلك الجمال الأزلي خاضعا للحدودات البشرية، مثل الأكل

والشرب، والفقر والغنا، والعزة والذلة، والنوم واليقظة، وأمثال ذلك، مما يثير الشبهة عند الناس ويحجبهم. فكل هذه الحجبات قد عبر عنها بالغمام..."

ويفسر معنى "يرسل ملائكته"، بأنها تلك النفوس المقدسة التي:

"... صارت هذه الوجودات القدسية منزهة ومقدسة عن العوارض البشرية، ومتخلقة بأخلاق الروحانيين ومتصفة بأوصاف المقدسين لهذا أطلق اسم الملائكة على هذه النفوس المقدسة."

وفي معرض تفسيره للمقتطف المذكور أعلاه والمأخوذ من الإنجيل، يشرح حضرة بهاء الله عدة نقاط تلقي الضوء على كلمات خفية نطق بها الرسل، مستشهدا بالكثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، ويفصح بشمول عن حقائق روحانية ظلت غامضة مستورة في كافة الديانات السماوية السابقة، ويشرح معنى العبارات الواردة مثل: "تبديل الأرض" و"انفطار السماء" كما يتوقع المسلمون حدوثها في الساعة الآخرة، يوم القيامة، "يوم تأتي السماء بدخان مبين. يغشى الناس..."

ثم يضيف حضرة بهاء الله مؤكدا:

"... لو كانت أشراط الظهور في أي عصر، تظهر في عالم الظاهر مطابقة لما ورد في الأخبار، فمن الذي كان يستطيع الإنكار والإعراض، وكيف كان يفصل بين السعيد والشقي، والمجرم والتقي. أحكم بالإنصاف. مثلا لو تظهر بحسب الظاهر هذه العبارات المسطورة في الإنجيل. وتنزل الملائكة مع عيسى بن مريم من السماء الظاهرة على السحاب. فمن ذا الذي يقدر على التكذيب أو يستطيع الإنكار ويستكبر عن الإيمان بل إن الاضطراب يأخذ أهل الأرض قاطبة على الفور بدرجة لا يقدر على التكلم والتفوه بحرف واحد فكيف يصل الحال إلى الرد أو القبول..."

### أسباب أخرى لاعتراض الناس على الرسل

تعزى أسباب عدم إدراك الناس لمعنى العلامات والإشارات التي جاءت في الكتب المقدسة إلى أتباعهم رؤساء دينهم وإطاعتهم طاعة عمياء. ويؤكد حضرة بهاء الله على ذلك في "كتاب الإيقان" بقوله:

"... إن أمثال هذه الاعتراضات كانت موجودة بين الناس في كل الأزمان والأعصار. وكانوا في كل الأيام مشغولين بزخارف القول، بحجة إن العلامة الفلانية لم تظهر، والبرهان الفلاني لم يتحقق وما انتابتهم هذه الأمراض إلا من تمسكهم

بعلماء عصرهم في تصديق وتكذيب هذه الجواهر المجردة، والهيكل الإلهية. ونظرا لاستغراقهم في الشؤون النفسية، واشتغالهم بالأمورات الدنية الفانية لهذا كانوا يرون في هذه الشمس الباقية، أنها مخالفة لعلمهم وإدراكهم، ومعارضة لجهدهم واجتهادهم. وكانوا يفسرون معاني الكلمات الإلهية، ويبينون أحاديث الحروف الأحدية وأخبارها، تفسيراً لفظياً بحسب مداركهم القاصرة- لهذا حرموا أنفسهم وجميع الناس من أمطار ربيع الفضل."

وحتى ندرك الأسرار المكنونة في دين الله، يقرر حضرة بهاء الله مرارا أن على الإنسان أن يطهر قلبه عن جميع الشؤون الدنيوية، كما يتضح من الفقرة التالية:

"فإن أنت نظفت ولو قليلا مرآة قلبك وطهرتها من غبار الغرض فإنك تدرك جميع التلميحات في كلمات الكلمة الجامعة الإلهية، وتقف على أسرار العلم في كل ظهور. وما لم تحرق الحجب العلمية المصطلح عليها بين العباد بنار الانقطاع فإنك لا تفوز بصبح العلم الحقيقي النوراني."

والعلم علمان: علم إلهي، وعلم شيطاني، أولهما يظهر من إلهامات السلطان الحقيقي، وثانيهما يبدو من تخيلات الأنفس الظلمانية. فمعلم ذاك حضرة الباري، ومعلم هذا الوسوس النفسانية. بيان الأول: اتقوا الله ويعلمكم الله. وبيان

الثاني: العلم هو الحجاب الأكبر. أثمار ذاك الشجر الصبر والشوق والعرفان والمحبة، وأثمار هذا الشجر الكبر والغرور والنخوة. ومن بيانات أصحاب البيان التي ذكروها في معنى العلم أنه لا يستشم منه أية رائحة من روائح هذه العلوم الظلمانية التي أحاطت ظلمتها كل البلاد. لا يثمر هذا الشجر إلا البغي والفحشاء، ولا يأتي إلا بالغل والبغضاء، ثمره سم قاتل، وظله نار مهلكة.

وثمة حقيقة أخرى هامة عملت على احتجاب الناس عن المظاهر الإلهية تلك هي الامتحانات التي تواجه البشر عند ظهورهم. ففي كل دورة برزت في حياة المظهر الإلهي أحداث معينة غدت سدا أمام الناس في إدراكهم الحقيقة. وفي هذا المقام أنزل حضرة بهاء الله الكلمات التالية:

"واعلم بأن المقصود من جميع هذه الكلمات المرموزة، والإشارات العويصة الظاهرة من المصادر الأمرية، إن هو إلا امتحان للعباد، كما قد ذكر، حتى تعرف أراضى القلوب الجيدة المنيرة من الأراضى الجزرة الفانية. هذه سنة الله بين عباده في القرون الخالية، يشهد بذلك ما هو مسطور في الكتب."

ويثبت حضرة بهاء الله هذه الحقيقة (الامتحانات الإلهية) ببعض الأمثلة، ويتحدث عن محمد ع الذي كان يولي وجهه شطر بيت المقدس وهو يؤم المسلمين

في الصلاة وكيف أنه في مرة من المرات استدار فجأة أثناء الصلاة وولى وجهه شطر المسجد الحرام (مكة):

"... بعد هجرة شمس النبوة المحمدية من مشرق البطحاء إلى يثرب استمر في التوجه إلى بيت المقدس في وقت الصلاة... نزل عليه جبريل وقال (فول وجهك شطر المسجد الحرام)، فانحرف حضرته أثناء الصلاة عن بيت المقدس، وولى وجهه شطر الكعبة وفي الحين حصل تزلزل واضطراب بين أصحابه بدرجة أن جمعا منهم تركوا الصلاة وأعرضوا. فهذه الفتنة لم تكن إلا امتحانا للعباد... أجل إن مثل هذه الأمور التي هي سبب وحشة جميع النفوس لم تقع إلا لكي يرد الكل على محك امتحان الله، كي يحصل التمييز والفصل بين الصادق والكاذب."

وهناك قصة أخرى توضح هذا القصد أوردها حضرة بهاء الله عن موسى عليه السلام:

"فمثلا: موسى بن عمران... بينما كان مارا في السوق ذات مرة في أوائل أيامه قبل بعثته رأى اثنين يتخاصمان، فطلب أحدهما من موسى أن يعاونه على خصمه، فأعانه حضرته بما أدى إلى قتله..."

فتفكر الآن في الفتن الإلهية وبدائع امتحاناته كيف أن شخصا عرف بقتل النفس واعترف أيضا بالظلم كما هو مذكور في الآية، وتربى أيضا في بيت فرعون بحسب الظاهر نحو من ثلاثين سنة أو أقل، ونشأ ونما في نعمائه، ثم يجتبيه ربه بغتة من بين العباد، ويأمره بأمر الهداية الكبرى، والحال أن ذلك السلطان المقتدر، كان قادرا على أن يمنع موسى من القتل، حتى لا يكون مشهورا بين العباد بهذا الاسم، الذي هو سبب وحشة القلوب، وعلة احتراز النفوس.

وبالطريقة نفسها امتحن الله العباد عند ظهور السيد المسيح، إلا أنها كانت فتنة تعلقت بظروف ولادته كما يشرحها حضرة بهاء الله:

"ولننتقل الآن إلى حالة مريم لنشاهد كيف أن هذه الطلعة الكبرى تمت الموت من عظمة الأمر، وشدة التحير، كما يستفاد من الآية المباركة التي ناحت بها مريم بعد ولادة عيسى، ونطقت بهذه الكلمة (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا) ... ثم تفكر أي جواب كان يمكن أن تقوله مريم للناس بشأن طفل ليس له أب معين! وكيف يمكن أن يقال لهم إنه من روح القدس! لهذا حملت مخدرة البقاء ذاك الطفل، ورجعت به إلى المنزل ...

فانظر الآن إلى هذه الفتنة الكبرى، والامتحان الأعظم، واصرف نظرا عما مضى، وتفكر كيف أن نفس جوهر الروح المعروف بين القوم بأن لا أب له، قد منحه الله النبوة وجعله حجته على كل أهل السموات والأرض.

## مواضيع رئيسة (القسم الثاني)

### كينونة الله ومظاهر نفسه

بعد أن عرض حضرة بهاء الله بكل وضوح الأسباب التي حجبت الناس عن عرفان رسل الله، يستهل الفصل الثاني من "كتاب الإيقان" بفقرة توضح توضيحا كاملا طبيعة المظهر الإلهي وعلاقته بالله وبالبشر، ويقرر في الكلمات التالية، بمنتهى البلاغة، أن الإنسان بنفسه عاجز أبدا عن إدراك خالقه، إلا أن الله بفضلله يظهر نفسه في كل عصر بواسطة رسوله:

"ومن الواضح لدى أولي العلم والأفئدة المنيرة، أن غيب الهوية وذات الأحدية كان مقدسا عن البروز والظهور، والصعود والنزول والدخول والخروج، ومتعاليا عن وصف كل واصف وإدراك كل مدرك، لم يزل كان غنيا في ذاته، ولا يزال يكون مستورا عن الأبصار والأنظار بكينونته (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو



**اللطيف الخبير**. لأنه لا يمكن أن يكون بينه وبين الممكنات بأي وجه من الوجوه نسبة وربط وفصل ووصل أو قرب وبعد وجهة وإشارة. لأن جميع من في السموات والأرض قد وجدوا بكلمة أمره، وبعثوا من العدم البحت والفناء الصرف إلى عرصة الشهود والحياة بإرادته التي هي نفس المشيئة...

إذ أن جميع الأنبياء والأوصياء والعلماء والعرفاء والحكماء قد أقرّوا بعدم بلوغ معرفة ذلك الجوهر الذي هو جوهر الجواهر. وأذعنوا بالعجز عن العرفان والوصول إلى تلك الحقيقة التي هي حقيقة الحقائق.

إن مقام المظهر الإلهي وطبيعته فوق إدراك العالم الإنساني، وهو حقا تجسيد للصفات الإلهية في هيكل إنسان، ومصدر كافة الطاقات الروحية التي تنطلق من عصر إلى آخر، فإذا كانت الشمس مصدرا للحياة والطاقة على هذه الأرض، فالمظهر الإلهي هو شمس العالم الإنساني، وتتعلق بهذه النفوس المقدسة حياة الإنسانية وإليهم يعزى نموها وتقدمها ويمجد حضرة بهاء الله مقام رسل الله ويكشف عن بعض ما يتمتعون به من الجلال والعظمة في الكلمات التالية:

"ولما أن كانت أبواب عرفان ذات الأزل مسدودة على وجه الممكنات لهذا باقتضاء رحمته الواسعة في قوله (سبقت رحمته كل شيء ووسعت رحمتي كل

شيء) قد أظهر بين الخلق جواهر قدس نورانية، من عوالم الروح الروحاني على هياكل العز الإنساني، كي تحكي عن ذات الأزلية وساذج القدمية- وهذه المرايا القدسية ومطالع الهوية تحكي بتمامها عن شمس الوجود وجوهر المقصود. فمثلا علمهم من علمه وقدرتهم من قدرته، وسلطنتهم من سلطنته، وجمالهم من جماله، وظهورهم من ظهوره، وهم مخازن العلوم الربانية، ومواقع الحكمة الصمدانية، ومظاهر الفيض اللامتناهي، ومطالع الشمس السرمدية كما قال (لا فرق بينك وبينهم إلا بأنهم عبادك وخلقك) وهذا مقام (أنا هو وهو أنا)."

ثم يضيف قائلا:

"... وأكمل إنسان وأفضله وأطفه هم مظاهر شمس الحقيقة. بل إن ما سواهم موجودون بإرادتهم ومتحركون بإفاضتهم. لولاك لما خلقت الأفلاك. بل الكل في ساحة قدسهم عدم صرف وفناء بحث. بل أن ذكرهم منزه عن ذكر غيرهم، ووصفهم مقدس عن وصف ما سواهم. وهؤلاء الهياكل القدسية هم المرايا الأولية الأزلية التي تحكي عن غيب الغيوب وعن كل أسمائه وصفاته من علم وقدره وسلطنة وعظمة ورحمة وحكمة وعزة وجود وكرم. فكل تلك الصفات ظاهرة ساطعة من ظهور هذه الجواهر الأحادية."

نجد في القرآن الكريم آيتين تبدوان متناقضتين . واحدة تقر بوحدة الرسل والأخرى تفضل بعضهم على بعض . فيتناول حضرة بهاءالله هاتين الآيتين ويفسر وحدة الرسل من جهة ثم تباينهم من حيث التفضيل من جهة أخرى . فعن وحدتهم يتفضل :

"وليكن في علم جنابك علاوة على ما ذكر أن الحاملين لأمانة حضرة الأحدية الذين يظهرون في العوالم الملكية بحكم جديد وأمر بديع ، لما كانت هذه الأطيوار - أطيوار العرش الباقي - ينزلون من سماء المشيئة الإلهية، ويقومون جميعا على الأمر المبرم الرباني، لهذا هم في حكم نفس واحدة، وذات واحدة... ولمظاهر الحق هؤلاء مقامان مقرران، أولهما مقام صرف التجريد وجوهر التفريد، وفي هذا المقام لو تدعو الكل باسم واحد وتصفهم بوصف واحد فلا بأس في ذلك، كما يقول (لا نفرق بين أحد من رسله) لأنهم جميعا يدعون الناس إلى توحيد الله، ويبشرونهم بكوثر الفيض والفضل الذي لا يتناهى، وكلهم فائزون بخلعة النبوة، ومفتخرون برداء المكرومة...

وخلاصة القول إن من المعلوم والمحقق لجنابك، أن جميع الأنبياء هم هياكل أمر الله، الذين ظهروا في أقمصة مختلفة. وإذا ما نظرت إليهم بنظر لطيف لتراهم جميعا ساكنين في رضوان واحد، وطائرين في هواء واحد، وجالسين على بساط واحد، وناطقين بكلام واحد، وأميرين بأمر واحد. وهذا هو اتحاد جواهر الوجود والشموس غير المحدودة والمعدودة. فإذا لو يقول أحد من هذه المظاهر القدسية،

إنني رجعة كل الأنبياء فهو صادق. وكذلك يثبت في كل ظهور لاحق صدق رجوع الظهور السابق. وإذا كان قد ثبت رجوع الأنبياء وفقا للآيات وطبقا للأخبار، كذلك يثبت ويتحقق رجوع الأولياء أيضا. "

وفي بيانه عما يميزهم عن بعضهم يشرح بقوله:

"... ففي هذا المقام لكل واحد منهم هيكل معين، وأمر مقرر، وظهور مقدر، وحدود مخصوصة. بمثل ما أن كل واحد منهم موسوم باسم، وموصوف بوصف، ومأمور بأمر بديع، وشرع جديد، كما يقول (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس). وبالنظر لاختلاف هذه المراتب والمقامات تظهر بيانات وكلمات مختلفة من تلك الينابيع للعلوم السبحانية. وإلا في الحقيقة تعتبر جميعها لدى العارفين بمعضلات المسائل الإلهية في حكم كلمة واحدة. "

ولما كانت حقيقة كل مظهر إلهي كسابقه من الرسل، كان أتباعه في جوهرهم رجعة للأتباع السابقين. وحول هذا الارتباط يورد حضرة بهاء الله المثل التالي:

"... خذوا مثلا الورد، لو أنه يطلع من شجرة في شرق الأرض، ويطلع أيضا من شجرة أخرى في مغربها فإنه يكون وردا في الحالين، لأن الاعتبار في هذه الحالة لا يكون موجها إلى حدودات غصن الشجرة وهيئته، بل يكون موجها إلى الرائحة والعطر الظاهرين من كليهما."

وكما أشرنا سابقا فإن للمظهر الإلهي طبيعة مزدوجة: إلهية وإنسانية. ويشرح حضرة بهاء الله هذه المسألة موضحا إياها كما يلي:

"ولهذا أطلقت ولا تزال تطلق على جواهر الوجود هؤلاء في مقام التوحيد وعلو التجريد، صفات الربوبية، والألوهية، والأحادية الصرفة، والهوية البحتة، لأن جميعهم ساكنون على عرش ظهور الله، وواقفون على كرسي بطون الله، أعني أن ظهور الله ظاهر بظهورهم، وجمال الله مشرق من وجوههم. لهذا قد ظهرت نغمات الربوبية من هذه الهياكل الأحادية."

ولكن في المقام الثاني الذي هو مقام التمييز والتفصيل والتحديد ومقام الإشارات والدلالات الملكية، تظهر منهم العبودية الصرفة، والفقر البحت، والفناء البات كما يقول: إني عبد الله، وما أنا إلا بشر مثلكم...

وإذا ما سمع من المظاهر الجامعة: **أني أنا الله**. فهو حق ولا ريب فيه. إذ قد ثبت مرارا أن بظهورهم، وبصفاتهم، وبأسمائهم يظهر في الأرض، ظهور الله، واسم الله وصفة الله، ولهذا يقول (**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**) وكذلك يقول (**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**) وإذا ما تغنوا بنعمة: **إني رسول الله**، فإنه أيضا صحيح ولا شك فيه كما يقول (**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله**). في هذا المقام هم جميعا مرسلون من لدن ذلك السلطان الحقيقي والكينونة الأزلية... ولو يقولون: **نحن عباد الله**، فإن هذا أيضا ثابت وظاهر، حيث قد ظهوروا في الظاهر بمنتهى رتبة العبودية. تلك العبودية التي لا يستطيع أحد في الإمكان أن يظهر بنحو منها.

## سلطنة الرسل

كان أحد الأسئلة التي وجهها الحاج ميرزا سيد محمد سؤالاً حول علامات ظهور القائم. فطبقاً للأحاديث الشريفة سيأتي القائم بسلطنة عظيمة يحكم بها بين الناس. ولم تتحقق هذه الشروط حرفياً بمجيء حضرة الباب. ويخصص حضرة بهاء الله جزءاً كبيراً من الكتاب للإجابة عن السؤال المذكور موضحاً أن رسل الله جميعهم قد جاءوا بالقدرة والإجلال، وكانت الشروط التي حكمت مجيئهم روحانية أكثر منها جسمانية، فسلطنتهم سلطنة إلهية وبها ظهرت هيمنتهم وسلطنتهم بين الناس. أما عن سلطنة القائم فيبين حضرة بهاء الله ما يلي:

"ولكنها ليست بتلك السلطنة والحكومة التي تدركها كل نفس، فضلاً عن أن جميع الأنبياء السابقين الذين بشروا الناس بالظهور الذي يأتي بعدهم، قد ذكر كل أولئك المظاهر السابقين سلطنة الظهور التالي كما هو مسطور في كتب القبل، وإنها لم تتخصص بالقائم وحده بل أن حكم السلطنة وجميع الصفات والأسماء متحقق وثابت في حق كل أولئك المظاهر من السابقين واللاحقين، لأنهم مظاهر الصفات الغيبية، ومطالع الأسرار الإلهية كما سبقت الإشارة إليه.

وفضلا عن ذلك فإن المقصود من السلطنة هو إحاطة حضرته وقدرته على كل  
 الممكنات -سواء أ يظهر في عالم الظاهر بالاستيلاء الظاهري أو لا يظهر به- وهذا أمر  
 منوط بإرادة حضرته ومشئته، وليكن في علم جنابك أن المقصود من السلطنة  
 والغنى، والحياة والموت، والحشر والنشر، المذكور في الصحف الأولى ليس هو ما  
 يدركه الآن هؤلاء القوم ويفهمونه. بل إن المراد من السلطنة هي السلطنة التي تظهر  
 في أيام ظهور كل واحد من شمس الحقيقة من نفس المظهر لنفسه، وهي الإحاطة  
 الباطنية التي بها يحيطون بكل من في السموات والأرض. ثم تظهر بعدئذ في  
 عالم الظاهر بحسب استعداد الكون والزمان والخلق.

ويورد حضرة بهاء الله مقارنة بين هيمنة المظاهر الإلهية وقوتهم الخلاقة وبين  
 السلطنة الزائلة لملوك الأرض:

"فانصفوا الآن أي السلطنتين أكبر وأعظم، أتلك السلطنة التي بحرف واحد وبيان  
 واحد، صار لها كل هذا التصرف والغلبة والهيمنة، أم سلطنة أولئك السلاطين الذين  
 بحسب الظاهر يخضع الناس لهم أياما معدودات بفضل إعانة الرعايا ومعاونة  
 الفقراء لهم؟ بينما هم في الحقيقة معرضون ومدبرون عنهم بالقلوب. وهذه السلطنة  
 قد سخرت العالم بحرف واحد ومنحته الحياة وأفاضت عليه الوجود- ما للتراب  
 ورب الأرباب! بل كيف يمكن أن تذكر هناك نسبة مع أن كل النسب مقطوعة لدى



ساحة قدس سلطنته؟ وإذا ما أمعنت النظر لشاهدت أن خدام عتبه لهم سلطنة على كل المخلوقات والموجودات كما ظهر ويظهر."

ومن بين القصص التي أوردها حضرة بهاء الله تبياننا لمعنى السلطنة والغلبة المنسوبة إلى رسل الله قصة عيسى عليه السلام عندما كان أسيرا بأيدي اليهود:

"وكذلك انظر وتأمل، كيف أن اليهود قد أحاطوا بعيسى ابن مريم ذات يوم، وطلبوا منه الإقرار بما ادعى به من أنه هو المسيح والنبى، ليحكموا عليه بالكفر وينفذوا فيه حد القتل، حتى أحضروا شمس سماء المعاني في مجلس بيلاطس بحضور قيافا الذي كان أعظم علماء ذاك العصر. وأحضروا في ذلك المجلس أيضا جميع العلماء، واجتمع كذلك جمع كبير بقصد التفرج عليه والاستهزاء به وإيذاء حضرته. وحدث أنه كلما استفسروا من حضرته لعلمهم يسمعون منه إقرارا، كان حضرته يختار السكوت، وما تعرض للجواب عليهم أبدا إلى أن قام ملعون وجاء في مقابل وجهه وحلفه قائلا: أو لم تقل إني مسيح الله؟ وإني ملك اليهود؟ وإني صاحب كتاب وإني مخرب يوم السبت؟ فرفع حضرته رأسه المبارك وأجاب: أما ترى بأن ابن الإنسان قد جلس عن يمين القدرة والقوة، يعني أما ترى ابن الإنسان جالسا عن يمين القدرة والقوة الإلهية. والحال أنه بحسب الظاهر لم يكن موجودا

لدى حضرته شيء أبدا من أسباب القدرة إلا القدرة الباطنية التي قد أحاطت بكل من في السموات والأرض.

وفي معرض شرحه للسلطنة استرسل حضرة بهاء الله في وصف المصائب والبلايا التي نزلت برسول الله وأصفيائه، فيصف استشهاد الإمام الحسين الذي سما بالإسلام مجدا وبهاء. كما يصور الآلام والمحن التي ابتلي بها محمد رسول الله في أولى سنوات دعوته. وفي هذا السياق يوضح كيف أن الكلمة التي ينطق بها رسول الله تنقل الإنسان بروحه من الجهل والبؤس إلى عالم الفضائل والكمالات الإلهية المجيدة. وبقوة نفوذ كلمته يؤلف بين قلوب من تخالف من الشعوب والقبائل فيجعل منهم أمة واحدة. ويضرب مثلا على ذلك تلك النبوة المعروفة في التوراة:

"... وعلاوة على ذلك، كم من أناس مختلفين في العقائد، ومتباينين في المذاهب، ومتفاوتين في المزاج، قد لبسوا قميص التوحيد الجديد من هذا النسيم - نسيم الرضوان الإلهي وربيع القدس المعنوي. وشربوا من كأس التفريد.

هذا هو معنى الحديث المشهور القائل بأن (الذئب والغنم يأكلان ويشربان من محل واحد)<sup>(1)</sup>. والآن انظر إلى عدم عرفان هؤلاء الجهلاء، كيف أنهم لا زالوا ينتظرون مثل الأمم السابقة متى تجتمع هذه الحيوانات على خوان واحد- هذه درجة عرفان أولئك الناس، كأنهم ما شربوا من كأس الإنصاف أبدا وما مشوا في سبيل العدل خطوة. وبصرف النظر عن ذلك، فأى حسن يحدثه وقوع هذا الأمر في العالم. فنعم ما نزل في شأنهم (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها).

### معنى "الحياة" و"الموت" و"البعث"

ويعود حضرة بهاء الله لينزل بقلمه الأعلى تفسيراً لمصطلحات وردت في الكتب المقدسة للرسالات السابقة مثل "الحياة" و"الموت" و"القيامة" و"النفخ في الصور" و"الجنة" و"النار" فيصرح قائلاً:

"...والمقصود من الموت والحياة المذكورين في الكتب هو الموت الإيماني والحياة الإيمانية. وبسبب عدم إدراك هذا المعنى اعترضت عامة الناس في كل ظهور، ولم يهتدوا إلى شمس الهداية، ولم يقتدوا بالجمال الأزلي."

ويؤكد على أن "يوم القيامة" لا يتحقق إلا بظهور المظهر الإلهي ، فبواسطة كلمته ورسالته يخرج الناس من قبور الكفر إلى نور الحياة الروحانية . وهذه بعض كلمات حضرة بهاء الله بهذا الخصوص :

إن هذا المطلب وتلك الأحوال كانت في كل الأعصار في أيام ظهور مظاهر الحق . كما قال عيسى عليه السلام (لا بد لكم بأن تولدوا مرة أخرى). وكما قال في مقام آخر (من لم يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح) أي أن النفس التي لم تحي من ماء المعرفة الإلهية وروح القدس العيسوي، فإنها غير لائقة للدخول والورود في الملكوت الرباني . لأن الذي ظهر من الجسد وتولد منه فهو جسد، والمولود من الروح التي هي نفس عيسى فهو روح . وخلاصة المعنى هو أن العباد الذين ولدوا من روح المظاهر القدسية، وحيوا من نفختهم في أي ظهور يصدق عليهم حكم الحياة والبعث والورود في جنة المحبة الإلهية . وما عداهم من العباد يصدق عليهم حكم آخر، هو الموت والغفلة، والورود في نار الكفر والغضب الإلهي . ولقد أطلق في الكتب والألواح والصحائف حكم الموت والنار، وعدم البصر والقلب والسمع على الذين لم يشربوا من كؤوس المعارف اللطيفة ولم تفر قلوبهم بفيض روح القدس إبان ظهوره في كل عصر كما أشير إليه من قبل (لهم قلوب لا يفقهون بها).

وفي مقام آخر في الإنجيل مسطور بأنه في ذات يوم توفي والد أحد أصحاب عيسى . فعرض الأمر على حضرته وطلب منه إجازة ليذهب ليكفنه ويدفنه ثم يرجع . فأجابه جوهر الانقطاع (دع الموتى يدفنون موتاهم) .

وفي القرآن الكريم عدة إشارات إلى "يوم" يلقي فيه الناس رب العالمين ، ولا تفسير لذلك سوى المثل بين يدي المظهر الإلهي . كما يؤكد حصة بهاء الله بقوله :

"وهذا اللقاء لا يتيسر لأحد إلا في القيامة، التي هي قيام نفس الله بمظهره الكلي .

وهذا هو معنى القيامة المذكورة والمسطورة في كل الكتب والتي بها وعد جميع الناس وبشروا بذلك اليوم . فانظر الآن هل يتصور يوم أعز من هذا اليوم وأكبر منه وأعظم ، حتى يسمح الإنسان لنفسه بأن يفلت من يده مثل هذا اليوم ، ويحرم نفسه من فيوضات هذا اليوم الجارية من قبل الرحمن كأ مطار الربيع ؟ وبعد أن قام الدليل بتمامه على أنه لا يوجد يوم أعظم من هذا اليوم ، ولا أعز من هذا الأمر ، كيف يجوز لإنسان أن يحرم نفسه من فضل كهذا الفضل الأكبر بكلمات المتوهمين والظانين . وفضلا عن كل هذه الدلائل المحكمة المتقنة التي لا مفر لأي عاقل منها ، ولا مهرب لأي عارف عنها ، أما سمعوا الرواية المشهورة التي تقول (إذا قام القائم

قامت القيامة). وكذلك فسرة أمة الهدى والأنوار التي لا تطفئ الآفة الكريمة (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) بأنها تشير إلى حضرة القائم وظهوره.

## حجاب العلم

يزخر الفصل الثاني من "كتاب الإيقان" بالعديد من الإشارات إلى العلماء ورجال الدين الذين منعوا الناس بعلمهم عن التوجه إلى منظر الأهدية. وقد وردت مثل هذه الإشارات في الفصل الأول من الكتاب، إلا أنها هنا موجهة بصورة خاصة إلى علماء الإسلام، لأن العلوم التحصيلية قد تصبح حجابا بين الإنسان وربه. وإلى هذا الحجاب يشير حضرة بهاء الله بقوله:

"ولقد حرقنا الحجاب الأكبر بنار محبة المحجوب، ذاك الحجاب الذي قيل فيه - العلم هو الحجاب الأكبر- وأقمنا مكانه سرادقا آخر... ولم نترك في القلب والفؤاد محلا لغير المقصود، وما كنا متمسكين بعلم غير علمه، ولا متشبهين بمعلوم غير تجلي أنواره."

إن إدراك المظهر الإلهي وعرفانه لا يعتمدان على تحصيل العلوم والمعرفة  
الدنيوية وعليه يتفضل:

"والحال أن فهم الكلمات الإلهية، وإدراك بيانات الحمامات المعنوية،<sup>(٢)</sup> ليس له  
أي دخل بالعلم الظاهري. بل هو منوط بصفاء القلب، وتركية النفوس، وتجرد  
الروح. كما هو مشهود الآن في فئة من العباد الذين ما عرفوا حرفاً من رسوم العلم،  
لكنهم جالسون على رفرق العلم، ورياض قلوبهم مزينة بأوراد الحكمة وأزهار  
المعرفة، من سحاب الفيض الإلهي. فطوبى للمخلصين من أنوار يوم عظيم."

### الباحث الحقيقي

إن أكثر أقوال حضرة بهاء الله وضوحاً في الكتاب تلك التي تتعلق بخصائص  
السالك سبيل العرفان وصفاته. وقد وجه إلى الحاج ميرزا سيد محمد -خال حضرة  
الباب- الكلمات التالية:

"ولكن يا أخي إن الشخص المجاهد الذي أراد أن يخطو بقدم الطلب  
والسلوك، في سبيل معرفة سلطان القدم، يجب عليه في بداية الأمر، أن يجعل

القلب الذي هو محل ظهور تجلي الأسرار الغيبية الإلهية، مطهرا ومنزها عن كل غبرة مظلمة من غبار العلوم الاكتسابية، وإشارات المظاهر الشيطانية. ويجعل الصدر الذي هو سرير ورود وجلوس محبة المحبوب الأزلي لطيفا ونظيفا. وكذلك يقدر القلب عن كل ما يتعلق بالماء والطين. يعني أن يجعله مقدسا عن جميع النقوش الشبحية والصور الظلية، بدرجة لا يبقى في القلب آثار للحب والبغض، كيلا يميل به الحب عن جهة أو يمنعه البغض عن جهة بلا دليل. وذلك كما منع اليوم أكثر الناس لهذين الوجهين عن الوجه الباقي، وعن حضرة صاحب المعاني، وأصبحوا يرتعون بلا راع في صحارى الضلالة والنسيان. ويجب على السالك في كل حين أن يتوكل على الحق، وأن يعرض عن الخلق وينقطع عن عالم التراب، ويتمسك برب الأرباب. ولا يرجح نفسه على أحد، ويمحو عن لوح قلبه الافتخار والاستكبار، ويأخذ نفسه بالصبر والاصطبار، ويتخذ الصمت له شعارا. ويحترز عن التكلم بما لا فائدة فيه، لأن اللسان نار خامدة وكثرة البيان سم قاتل. فالنار الظاهرة تحرق الأجساد، ونار اللسان تكوي الأفئدة والأرواح. أثمرت تلك النار يفنى بعد ساعة، وأثر هذه النار يبقى قرنا من الزمان.

وعلى السالك أن يعد الغيبة ضلالة. وأن لا يخطو بقدمه أبدا في تلك الساحة، لأن الغيبة تطفئ سراج القلب المنير. وتميت الحياة من الفؤاد. يقنع بالقليل، ويزهد عن طلب الكثير. يعد مصاحبة المنقطعين غنيمة. والعزلة عن المتمسكين



بالدنيا والمتكبرين نعمة. يشتغل في الأسحار بالأذكار، ويسعى في طلب محبوه بتمام الهمة والاقتدار. يحرق حجاب الغفلة بنار الحب والذكر. يفر كالبرق عما سوى الله. يجود بنصيب على البائسين، ولا يتوقف عن العطاء والإحسان للمحرومين. ينظر بعين الرعاية للحيوان، فكيف بالإنسان، وأهل البيان. لا يبخل بالروح عن المحبوب. ولا يحترز عن الحق خشية شماتة الخلق. وما لا يرضاه لنفسه لا يرتضيه لغيره. ولا يقول بما لا يفي به ويعفو عن الخاطئين عند كمال القدرة عليهم، ويطلب لهم المغفرة ويصفح عن العاصين ولا ينظر إليهم بعين الحقارة، لأن حسن الخاتمة مجهول. إذ كم من عاص يتوفق حين الموت إلى جوهر الإيمان ويدوق خمرة البقاء ويسرع إلى الملاء الأعلى. وكم من مطيع ومؤمن ينقلب حين ارتقاء الروح، ويستقر في أسفل دركات النيران. والخلاصة أن المقصود من جميع هذه البيانات المتقنة والإشارات المحكمة هو أنه يجب على السالك والطالب أن يعلم ويعتقد بأن ما سوى الله فان، وما دون المعبود معدوم.

وهذه الشرائط هي من صفات العالين، وسجايا الروحانيين، ذكرت في شرائط المجاهدين، وسير السالكين في مناهج علم اليقين. وبعد أن تتحقق هذه المقامات في السالك المنقطع، والطالب الصادق يصدق في حقه لفظ المجاهد. وإذا ما صار مؤيدا بعمل: (والذين جاهدوا فينا) فلا بد أن يستبشر ببشارة (لنهديهم سبلنا).

وإذا ما أوقد في القلب سراج الطلب والمجاهدة، والذوق والشوق والعشق والوله، والجذب والحب، وهب نسيم المحبة من شطر الأحذية، تزول ظلمة ضلالة الشك والريب، وتحيط أنوار العلم واليقين بكل أركان الوجود. ففي ذلك الحين يطلع البشير المعنوي كالصبح الصادق، من المدينة الإلهية بالبشارة الروحانية، ويستيقظ القلب والنفس والروح من نوم الغفلة بصور المعرفة، ويمنح حياة جديدة بديعة بتأييدات وعنايات من روح القدس الصمداني، بحيث يرى نفسه صاحب بصر جديد، وسمع بديع، وقلب وفؤاد جديد. ويرى الآيات الواضحة في الآفاق، والحقائق المستورة في الأنفس. ويشاهد بعين الله البديعة في كل ذرة بابا مفتوحا للوصول إلى مراتب عين اليقين، وحق اليقين ونور اليقين. ويلاحظ في جميع الأشياء أسرار تجلي الوجدانية، وآثار الظهور الصمدانية".

### براهين على صدق رسالة حضرة الباب

بعد أن وضح حضرة بهاء الله للحاج ميرزا سيد محمد تلك النقاط الأساسية شرع في عرض البراهين على صدق رسالة حضرة الباب ممهدا الطريق مرة أخرى للتكلم عن المظاهر الإلهية بشكل عام. فيخصص عدة صفحات من الكتاب لشرح أن البرهان الأعظم للرسول هو نفسه، تماما كالشمس التي تدل على نفسها بنفسها.

ويلى ذلك فى الأهمية نزول الوحي الإلهي . ويبين حضرة بهاءالله كيف أن محمدا (ص) أشار فى عدة مناسبات إلى أن القرآن الكريم نفسه هو البرهان على صدق رسالته :

"وفي أول الكتاب يقول (ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)" ...  
"وشهد ذات الأحدية، وغيب الهوية بنفسه على أنه لا شك ولا شبهة فيه، وأنه هاد للعباد إلى يوم الميعاد... وكذلك يقول فى مقام آخر (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله . وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين)... فانظر الآن كم هو عظيم شأن الآيات، وكبير قدرها، حيث قد ختم بها الحجة البالغة، والبرهان الكامل، والقدرة القاهرة، والمشية النافذة."

إذا درسنا سير مؤسسى الأديان السماوية كلها نجد أن "الكلمة الإلهية" هي أكثر الوسائل أثرا عند الرسول الإلهي لتأسيس مدينة جديدة. إذ أن الكلمة الإلهية تخترق قلوب البشر لتصبح روح العصر. وعندما يدرك طالب الإيمان والسالك طريق العرفان مصدر هذه الكلمة المنزلة يدخل مدينة الإيقان. ويؤكد حضرة بهاءالله على ذلك واصفا تلك المدينة بقوله :

"... وأما تلك المدينة فهي الكتب الإلهية في كل عهد. فمثلا في عهد موسى كانت التوراة وفي زمن عيسى كان الإنجيل. وفي عهد محمد رسول الله كان الفرقان. وفي هذا العصر البيان. وفي عهد من يبعثه الله كتابه الذي هو مرجع كل الكتب والمهيمن على جميعها..."

وحول رسالة حضرة الباب يتفضل حضرة بهاء الله فيقول:

"... إذ أن الآيات كانت جارية ونازلة من غمام الرحمة الرحمانية بمثابة غيث الربيع. لأن الأنبياء من أولي العزم الذين عظمت قدرهم ورفعة مقامهم واضحة ولائحة كالشمس، يفتخر كل واحد منهم بكتاب مشهود متداول بين الأيدي آياته محصية. بينما قد نزلت الآيات من هذا الغمام الرحمانية على قدر لم يحصها أحد للآن. حيث أن المتداول منها في اليد إلى الآن نحو عشرين مجلدا، وكم منها لم تصل إليه الأيدي، وكم منها أيضا قد نهب وسلب ووقع بأيدي المشركين، ولا يعلم ما فعلوا به."

كانت الطبقات المتعلمة في الدورات الدينية السابقة تستخف بدين الله في بدايته وتحقر المؤمنين من أتباعه، ذلك أن هؤلاء الأتباع ما كانوا من المرموقين

المعروفين. إلا أن الوضع اختلف تماما بالنسبة لظهور حضرة الباب وقد بين ذلك حضرة بهاء الله في ما يلي:

"... وأما في هذا الظهور الأظهر، والسلطنة العظمى، فإن جمعا من العلماء الراشدين، والفضلاء الكاملين، والفقهاء البالغين، قد رزقوا من كأس القرب والوصال، وفازوا بالعناية العظمى، وانقطعوا عن الكون والإمكان في سبيل المحبوب. ولندكر بعضا من أسمائهم، عسى أن يكون ذلك سببا لاستقامة الأنفس المضطربة والنفوس الغير المطمئنة.

فمن جملتهم جناب ملا حسين الذي أصبح محلا لإشراق شمس الظهور. لولاه ما استوى الله على عرش رحمانيته. وما استقر على كرسي صمدانيته. وجناب آقا سيد يحيى الذي كان وحيد عصره وفريد زمانه... وأمثالهم ممن يبلغ عددهم قريبا من أربعماية نفس، أسماءهم جميعا مثبتة في اللوح المحفوظ الإلهي.

وهؤلاء كلهم قد اهدوا بشمس الظهور وأقروا وأذعنوا لها على شأن انقطع أكثرهم عن أموالهم وأهليهم، وأقبلوا إلى رضى ذي الجلال، وقاموا بتضحية الأرواح في سبيل المحبوب."

وبعدها تنهمر من القلم الأعلى آيات التمجيد والثناء بالنسبة لحضرة الباب فيصف ثباته واستقامته في إعلان دعوته في وجه معارضة عنيفة، ذلك الثبات الذي كان سمة مميزة لرسول الله جميعهم وبرهانا آخر على صحة دعوتهم. وفيما يلي ما تفضل به حضرة بهاء الله عن حضرة الباب:

"وهناك برهان آخر ودليل لائح كالشمس بين الدلائل ألا وهو- استقامة ذلك الجمال الأزلي على الأمر الإلهي. فإنه مع كونه كان في سن الشباب فإنه قد قام مع هذا بأمر مخالف لكل أهل الأرض من الوضيع والشريف، والغني والفقير والعزير والدليل، والسلطان والرعية، كما سمع بذلك الكل، ولم يخف من أحد، ولم يعتن بأي نفس. فهل يكون هذا بغير أمر إلهي، ومشية مثبته ربانية؟ قسما بالله لو يتطرق في فكر أحد أمر كهذا، ويتخيله في نفسه لينعدم في الحين، ولو يجتمع في قلبه كل القلوب، فإنه لا يتجاسر أيضا على مثل هذا الأمر المهم، إلا بإذن من الله، وأن يكون قلبه متصلا بالفيوضات الرحمانية، ونفسه مطمئنة بالعنايات الربانية."

"هذا وإن الاستقامة على الأمر حجة كبيرة وبرهان عظيم..."

فانظر الآن كيف قد بلغت هذه السدرة الرضوانية السبحانية أمر الله في أول شبابها، وكم ظهر من الاستقامة من ذاك الجمال جمال الأحذية، بحيث أنه قام كل من على الأرض على منعه، ولم يأت ذلك بثمر أو فائدة بل كلما كان يرد منهم من الإيذاء على تلك السدرة، سدره طوبى، كلما كان يزداد شوقه، ويزداد اشتعال نار حبه. وكل هذا واضح لا ينكره أحد إلى أن فدى أخيرا بروحه وصعد إلى الرفيق الأعلى.

وعن تأثير رسالة حضرة الباب على المؤمنين من أتباعه كتب حضرة بهاء الله يقول:

"ومن جملة الدلائل على أحقية ظهوره ظهور الغلبة والقدرة والإحاطة التي أظهرها من نفسه بنفسه مظهر الوجود، ومظهر المعبود في أكناف العالم وأقطاره فحينما ظهر في شيراز ذاك الجمال الأزلي في سنة الستين وكشف الغطاء، فإنه في قليل من الزمان قد ظهرت في جميع البلاد آثار الغلبة والقدرة، والسلطنة والاقتماد من ذاك الجوهر، جوهر الجواهر، وبحر البحور، بحيث أنه قد ظهرت من كل بلد آثار، وإشارات، ودلالات، وعلامات من تلك الشمس اللاهوتية. وكم من رشحات علمية من ذلك البحر، بحر العلم اللدني، قد أحاطت جميع الممكنات مع أن جميع العلماء وأعزة القوم في كل بلد ومدينة قد قاموا على ردهم ومنعهم، وشدوا

أزر الغل والحسد والظلم على دفعهم . وكم من نفوس قدسية قتلوها بتهمة الظلم ، مع أنها كانت جواهر العدل . وكم من هياكل الروح قد أهلكوها بأشد العذاب ، وما بدا منها إلا خالص العلم والعمل . ومع كل هذا كان كل واحد من أولئك الوجودات ذاكرا ومشغولا بذكر الله إلى النفس الأخير ، وطائرا في هواء التسليم والرضا . وقد أثر في هذه الوجودات وتصرف فيها على نحو لم يكن لهم مراد غير إرادته ، ولم يبغوا أمرا غير أمره . رضوا برضائه ، وهامت قلوبهم بذكره ."

ومن المهم أن ندرك أن حضرة الباب جاء تحقيقا لنبوءات الكتب السماوية المقدسة وخاصة ما جاء في الإسلام حيث لرسالة حضرة الباب صلة خاصة به ، لا لأنه من سلالة محمد ؑ فحسب ، بل لأن المسلمين -شيعا كانوا أم سنة- كانوا أكثر الناس لهفة واشتياقا لظهوره ، ويعتبرونه ثمرة دين الإسلام وغايته . وقد ترك لنا النبي الكريم محمد ؑ والأئمة الأطهار فيضا لا يحصى من النبوءات عن الموعود المنتظر ، وتطرفت الأحاديث الشريفة -بالتلميح مرة وبالتصريح أخرى- إلى الظروف التي لا تعد ولا تحصى المرافقة لظهوره من حيث الوقت والمكان وأمور أخرى خاصة بدعوته .

من أبرز علماء خراسان كان ميرزا أحمد الأزغندي الذي أصبح مؤمنا مخلصا ، وقيل إعلان دعوة حضرة الباب شعر بالحاجة إلى جمع كافة الأحاديث النبوية



وتصنيفها، تلك المتصلة بظهور القائم الموعود. وكانت من الاتساع بحيث شملت اثني عشر ألف حديث.

إن لتحقق النبوءات الخاصة بالقائم لدى أهل الشيعة أهمية كبرى، ولأكثر من ألف سنة ناقش أتباع المذهب الشيعي هذا الأمر في مساجدهم ومدارسهم ومنازلهم. ولهذا السبب ربما يكون حضرة بهاء الله قد أفرد بضع صفحات من "كتاب الإيقان" ليشرح بعضاً من هذه الأحاديث، وكيف أن حضرة الباب قد حقق هذه الوعود والنبوءات بكل وضوح.

### حضرة بهاء الله يستبق إعلان ظهوره

قبل إعلان دعوته، وبينما كان حضرة بهاء الله يلمح عن نفسه بأنه "جوهر الجواهر"، و"حقيقة الحقائق"، و"نور الأنوار" و"سلطان الهوية"، وجه كلماته إلى كبار البابيين قائلاً:

"إنني في هذا الوقت أذكر أهل البيان وأطلب من عرفائهم وحكمائهم وعلمائهم وشهادتهم بأن لا ينسوا الوصايا الإلهية التي أنزلها في الكتاب ويكونوا دائماً ناظرين إلى أصل الأمر كيلا يتمسكوا ببعض عبارات الكتاب حيث ظهور ذلك الجوهر

الذي هو جوهر الجواهر وحقيقة الحقائق ونور الأنوار. وأن لا يرد عليه منهم ما ورد في كور الفرقان لأن ذاك السلطان سلطان الهوية قادر على أن يقبض الروح من كل البيان، وخلقه بحرف واحد من بدائع كلماته. أو يهب عليهم الحياة البديعة القديمة بحرف واحد منه ويحشرهم ويبعثهم من قبور النفس والهوى. وأنت فالتفت وارتقب وأيقن في ذاتك بأن الكل سوف ينتهي أمرهم إلى الإيمان به وإدراك أيامه ولقائه.

وفي مقطع آخر يشير إلى نفسه بأنه "الحمامة الترابية" فيؤكد أنه:

"قسما بالله إن لهذه الحمامة الترابية نعمات غير هاته النعمات، ولها رموز غير هذه البيانات كل نكتة منها مقدسة عما سبق بيانه وجرى به القلم. فلتحدد المشيئة الإلهية الوقت الذي فيه تبرز عرائس المعاني من القصر الروحاني بغير حجاب، وتخطو بقدم الظهور في ساحة القدم."

بالإضافة إلى ذلك فقد استبق حضرة بهاء الله - كما ورد في بعض فقرات "كتاب الإيقان" - ذكر ما سوف يجابهه من معارضة وما سيلقاه من محن وآلام على أيدي مناوئيه من بين جموع الباطنيين أنفسهم، ملمحا إلى ميرزا يحيى وبطانته، فكتب يقول:

"ولو أنه في هذه الأيام قد هبت رائحة حسد فإني أقسم بمربي الوجود من الغيب والشهود، بأنه من أول بداية وجود العالم مع كونه لا بداية له، إلى هذا الحين، ما ظهر مثل هذا الغل والحسد والبغضاء، ولن يظهر شبهه أبدا. حيث إن جمعا من الذين لم يستنشقوا رائحة الإنصاف قد رفعوا رايات النفاق، واتفقوا على مخالفة هذا العبد. فبرز من كل جهة رمح وطار من كل سمت سهم مع أنني ما افتخرت على أحد في أمر، وما استعليت على نفس. وكنت مع كل إنسان صديقا بمنتهى المحبة، ورفيقا بغاية الرأفة والشفقة، كنت مع الفقراء مثل الفقراء، ومع العلماء والعظماء بكمال التسليم والرضاء."

وفي كثير من آثاره المباركة يشير حضرة بهاءالله إلى آلامه ومحنه ويوضح بأن أعظم محنة يتلى بها المظهر الإلهي تأتي من الذين ينتسبون إليه من عديمي الوفاء والإخلاص. إن ما عاناه حضرة بهاءالله من خيانة ميرزا يحيى ونفاقه وسلوكه الشائن لم يكن ألما جسديا، فقد امتد الحزن والأسى إلى أعماق روحه حيث يصرح:

"... فوالله الذي لا إله إلا هو مع كل هذا الابتلاء والبأساء والضراء التي وردت علينا من الأعداء وأولي الكتاب، إنها كانت كالعدم الصرف، والفقد البحت، بالنسبة لما ورد علينا من الأحياء."

إن نفوذ وسلطان الكلمة الإلهية التي أنزلها حضرة بهاء الله في "كتاب الإيقان"، بالإضافة إلى لهجة العديد من ملاحظاته ثم الإشارات والتلميحات التي يوردها بالنسبة إلى شخصه الكريم - كل ذلك يدل على سمو مقامه وعلى دعوته الإلهية التي بات الإعلان عنها وشيكاً. وفي إحدى الفقرات يصرح قائلاً:

"إن عالم الوجود حامل بجميع هذه العنايات. ينتظر الساعة التي فيها تظهر آثار هذه العناية الغيبية في العوالم الترابية، وبها يبلغ العطاش الذين سقطوا من شدة الظمأ إلى كوثر<sup>(١)</sup> زلال المحبوب ويفوز الضالون في فيافي البعد والعدم بسرادق القرب والحياة في جوار المعشوق."

"كتاب الإيقان" محيط عميق لا يسبر غوره، يزخر بجوهر الحقائق الدينية، وقد يقرأه المرء عدة مرات، وفي كل منها يكتشف القارئ فيه جديد الحقائق والرؤى.

كتاب ظهور حضرة بهاء الله، أديب طاهرزاده، المجلد ١